القيم النفسية المستنبطة من الحوار بين المُستَضعفين والمستكبرين في القرآن الكريم : "دراسة موضوعية".

Psychological values derived from the dialogue between the oppressed and the Arrogant In The Holy Qur'an "an objective study".

آلاء ملحم[1]*، أ.د. جهاد النصيرات[2]

[1]الجامعة الأردنية، كلية الشريعة، قسم التفسير، الأردن، ala2020melhem@gmail.com

[2]الجامعة الأردنية، كلية الشريعة، قسم التفسير، الأردن، jh-alnu@yahoo.com

تاريخ الاستلام:2021/03/19 تاريخ القبول: 2021/09/03 تاريخ النشر: 2021/12/31

ملخص:

تناولت هذه الدراسة الموضوعية الآيات المتعلقة بالحوار بين المستضعفين والمستكبرين بهدف استنباط القيم النفسية من مضمونها، وتفعيل هذه القيم في الارتقاء بالأفراد والجماعات فضلا عن إثراء الواقع.

واقتضت طبيعة الدراسة أن تنتظم في أربعة مطالب، بالإضافة إلى تمهيد ومقدمة وخاتمة تضمنت أهم النتائج والتوصيات.

وباستخدام المنهج الاستقرائي والمنهج الاستنباطي خلصت الدراسة إلى الكشف عن أبرز القيم النفسية من الحوار بين المستضعفين والمستكبرين متمثلة في الحرية، المسؤولية الفردية، الثقة بالنفس، اليقين .

الكلمات المفتاحية: القيم النفسية؛ المستضعفون؛ المستكبرون .

* المؤلف المرسل

المنارة للاستشارات

Abstract:

This objective study aimed to deducting the psychological values out of the verses related to the dialogue between the Oppressed and the Arrogant in order to activate these values in the advancement of groups and individuals as well as enriching reality.

This study includes four main parts; a preface, an introduction and a conclusion which contains the most important findings and recommendations following a deduction and induction approach, the study revealed the most prominent psychological values out of the dialogue between the Oppressed and the Arrogant represented in: freedom, individual responsibility, self-confidence and certainty.

Keywords: values; psychological Oppressed; Arrogant.

المقدمة :

إن من أعظم نعم الله تعالى وأجلها أن أنزل علينا القرآن العظيم ليكون نورا للمهتدين ومنارا للمسترشدين، وسبيلا قاصدا ينير العقول ويقوم النفوس، ويرتقي بالإنسان فكرا وسلوكا، لا تجف روافده، ولا تنتهي معارفه. يُحاور العقول والنفوس حوارا ماتعا مشحونا بعاطفة روحية بما يبثه من دلالات وقيم.

لقد عُني القرآن الكريم بجوانب النفس الإنسانية والكشف عن مكنوناتها وانفعالاتها، ودعا إلى التفكر بالنفس التي هي ذات الإنسان وحقيقته. مستخدما في ذلك جملة من الأساليب ومنها أسلوب الحوار، فهو حين يعرض النماذج الحوارية لا يُعنى بتبادل الألفاظ فحسب، وإنما بيان هذه الجوانب النفسية التي لا يمكن الإحاطة بها إلا بالنظر والتأمل.

وتعتبر دراسة القيم النفسية واحدة من هذه الجوانب، وهي دراسة هامة؛ حيث يرى علماء النفس أن هناك ارتباطا وثيقا بين الشخصية ككل وبين القيم فإذا عرفنا قيم الشخص، فإننا نعرف شخصيته جيدا.

والحاجة ماسة في الآونة الأخيرة للنظر في القرآن الكريم بمنظور نتحرى فيه عمق التأثير وننهج فيه استنباط القيم من نصوصه، بما يرقى بالإنسانية في أبعادها وجوانبها المختلفة، واقعا ومستقبلا لتكون هي الفاعلة في تحركاتنا وحواراتنا في كل المواقف والقضايا الحياتية.

المنارة للاستشارات

مشكلة الدراسة وأسئلتها:

تحاول هذه الدراسة الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي:

ما القيم النفسية المستنبطة من الحوار بين المستضعفين والمستكبرين؟

ويتفرع عليه مجموعة من الأسئلة و هي:

1. ما أهمية الحرية؟
2. ما أثر المسئولية الفردية في حياة الأفراد ؟
3. ما دلالة الثقة بالنفس؟
4. ما أثر اليقين على النفس؟

أهداف الدراسة : تهدف هذه الدراسة إلى عدة أهداف لعل أبرزها:

1. الكشف عن أهم القيم النفسية المستنبطة من الحوار بين المستضعفين والمستكبرين في القرآن الكريم.
2. بيان أهمية الحرية ودورها في الارتقاء بالأفراد والجماعات.
3. بيان أثر المسؤولية الفردية في حياة الأفراد.
4. بيان دلالة الثقة بالنفس.
5. بيان أثر اليقين على النفس.

أهمية الدراسة :

1. تنبع أهميتها من كونها ترتبط بالقرآن الكريم .
2. إن هذه الدراسة جديدة لم يسبق تناول هذا الموضوع من هذا الجانب.
3. يمكن أن يستفيد من هذه الدراسة المعلمون والعاملون على تربية النشئ .
4. تقديم دراسة علمية أولية للباحثين، يمكن أن تؤدي إلى فتح الباب أمام هذا النوع من الدراسات النفسية المستمدة من القرآن الكريم.
5. الواقع المعاصر في العالم العربي والإسلامي في ابتعاده الملحوظ عن قيمه وأخلاقه.

المنارة للاستشارات

الدراسات السابقة :

لم نقف على أية دراسة مستقلة متخصصة في القيم النفسية المستنبطة من الحوار بين المستضعفين والمستكبرين، إلا أن هناك دراسات موضوعية تناولت الاستضعاف والاستكبار، ومنها:

– رسالة ماجستير "المستكبرون والمستضعفون"، للباحث غسان عاطف وإشراف الدكتور أحمد نوفل. الجامعة الأردنية– الأردن– 1408هـ– 1988م، استعرض فيها الباحث ظاهرة الاستكبار والاستضعاف في القرآن وأسبابها وطرق علاجها.

–رسالة ماجستير"منهج القرآن الكريم في حماية المستضعفين"، للباحث عبد السلام عبد القادر وإشراف الدكتور علي عوض الله. جامعة أم درمان الإسلامية– السودان – 1432 هـ–2011م، استعرض فيها الباحث الأسباب والوسائل التي تؤدي إلى الاستضعاف، ومظاهر رعاية القرآن للمستضعفين .

– رسالة ماجستير "أسباب الاستضعاف وسبل علاجه في القرآن الكريم "دراسة موضوعية"، للباحثة رقية حاجي حسن وإشراف د. عبد الله الخطيب. جامعة قطر، 1440هـ–2019م، استعرضت فيها الباحثة الأسباب التي تؤدي إلى الاستضعاف وسبل علاجها في القرآن.

وتلتقي هذه الدراسة مع الدراسات السابقة في جانب الإطار النظري، حيث أفادت من التعريفات الاصطلاحية للمستضعفين والمستكبرين، وتختلف عنها في استنباط القيم النفسية من الحوار بين المستضعفين والمستكبرين حيث لم تعرض الدراسات السابقة هذا الجانب. فهذا الموضوع مما لم يُبحث من قبل في دراسة متخصصة مستقلة .

محددات الدراسة :

اقتصرت الدراسة على استنباط أبرز القيم النفسية من الحوار بين المستضعفين والمستكبرين في القرآن الكريم، مع الإشارة إلى أن هذا النوع من الحوار لم يرد إلا في السور القرآنية الآتية : الأعراف، ابراهيم، سبأ، الصافات، غافر، وبما أنّ هذه الدراسة مقيدة بآيات الحوار بين المستضعفين والمستكبرين؛ فقد تتكرر الآية الواحدة في أكثر من مطلب؛ وذلك لاستنباط قيمة نفسية مختلفة.

المنارة للاستشارات

منهج الدراسة :

تعتمد هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي القائم على تتبع آيات الحوار بين المستضعفين والمستكبرين وتتبع أقوالا لمفسرين في تفسيرهم للآيات الكريمة، ثم المنهج الاستنباطي القائم على تحليل الآيات لاستنباط ما فيها من قيم نفسية.

وتمت الاستعانة بأسفار التفسير المتنوعة، مع محاولة الاستنباط الذاتي؛ امتثالاً لأمر الله عز وجل بتدبر كتابه العزيز.

قال سبحانه: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾[النساء:82]وقال سبحانه:﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾[محمد:24].

خطة الدراسة:

اقتضت طبيعة هذه الدراسة تقسيمها إلى مقدمة وتمهيد وأربعة مطالب وخاتمة، على النحو الآتي:

المقدمة: وفيها بيان أهمية الدراسة، مشكلة الدراسة، وأهدافها، والدراسات السابقة، ومنهجيتها، وخطتها.

التمهيد: وفيه تعريف لمحددات الدراسة.

المطلب الأول: الحرية.

المطلب الثاني: المسؤولية الفردية .

المطلب الثالث: الثقة بالنفس .

المطلب الرابع: اليقين.

ثم الخاتمة؛ وفيها النتائج والتوصيات.

المنارة للاستشارات

التمهيد: التعريف بمحددات الدراسة:

إن تحرير المصطلحات من الأمور الهامة التي ترتكز عليها الأبحاث والدراسات العلمية؛ لأنها تحدد التصورات الذهنية التي تدور حولها، لهذا تم تحرير مصطلحات الدراسة على النحو الآتي :

الفرع الأول : القيم لغة واصطلاحا:

القيم لغة :

تذكر المعاجم اللغوية مجموعة من الدلالات لمفردة "قيمة" وجمعها "قيم" وتُظهر الأصول اللغوية أنّ القيمة مشتقة من الفعل "قوَمَ" الذي تعددت دلالاته، يقول الجوهري: القيمة: واحدة القيم، وأصله الواو لأنه يقوم مقام الشيء، وقومت الشيء فهو قويم أي مستقيم [1].

ويقول ابن منظور: القيمة ثمن الشيء بالتقويم، تقول: تقاوموه فيما بينهم[2].

وعند الفيروز آبادي: "القيمة بالكسر واحدة القيم وماله قيمة إذا لم يدم على شيء، وقومت السلعة واستقمته ثمنته، واستقام اعتدل، وقومته عدلته فهو قويم ومستقيم[3].

وجاء في المعجم الوسيط أن قيمة الشيء هي قدره، وقيمة المتاع هي ثمنه، ويقال ما لفلان قيمة أي ماله ثبات ودوام على الأمر[4].

ومن خلال المعاني السابقة، نجد أن مادة (قَوَمَ) استعملت في اللغة لعدة معان، والذي يعنينا من المعاني الأقرب لتعريف القيمة التي تناسب موضوع الدراسة:

1- الثبات والدوام على الأمر ومنه قوله تعالى:﴿ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا﴾[آل عمران: 75] أي مُلازما ثابتاً على طلبه[5].

2- الاستقامة، ومنه قوله تعالى: ﴿ دِينًا قِيَمًا ﴾[الأنعام:]، وأمرٌ قيم مستقيم، وخُلقٌ قيّم: حسن ودين قيّم : مُستقيم لا زيغ فيه[6].

المنارة للاستشارات

القيم اصطلاحاً :

تضمن مصطلح القيم الكثير من التعريفات التي تنوعت واختلفت باختلاف اتجاهات أصحابها ومنطلقاتهم الفكرية، ومجالاتهم الدراسية والثقافة التي ينتمون إليها بكل ما تحمله تلك الثقافة من تعاليم دينية ورؤى فلسفية وتربوية واجتماعية وسياسية واقتصادية تعد كلها أصولا فكرية تحكم النظرة[7].

وتُعرف موسوعة المعارف التربوية القيم على أنها: "أحكام على الأشياء والمواقف.. وعلى السلوك بوجه عام، على الفكر أو الفعل أو الانفعال، فهي أحكام تقويمية بالخير أو الشر، بالخطأ أو الصواب، بالقبح أو الجمال، بالنفع أو الضرر، كما أنها أحكام تفضيلية أي اختيار وتفضيل لسلوك ما أو نشاط ما يشعر معه صاحبه أن له مبرراته بناء على المعايير التي تعلمها من الجماعة وخبرها في حياته المعاشة في علاقاته المختلفة من خلال الثواب والعقاب ودرجة الإشباع لحاجاته المادية والمعنوية المختلفة"[8].

ويعرف علماء النفس القيم على أنها: الأحكام التي يصدرها الفرد بالتفضيل أو عدم التفضيل للموضوعات أو الأشياء. وذلك في ضوء تقييمه أو تقديره لهذه الموضوعات أو الأشياء، وتتم هذه العملية من خلال التفاعل بين الفرد بمعارفه وخبراته وبين ممثلي الإطار الحضاري الذي يعيش فيه"[9].

الفرع الثاني: النفسية لغة واصطلاحا:

النفس لغة تطلق على عدة معان منها: الروح ويُقال خرجت نفسه، ويُقال فلان ذو نفس أي خُلق وجَلد وهي بمعنى الجسد وهي بمعنى القلب، وهي بمعنى الدم، وبمعنى حقيقة الشيء، وبمعنى قوة الخير والشر في الإنسان .

النفس اصطلاحا: يعد الغزالي (505هـ)،من أبرز مفكري المسلمين، الذين أولوا أهمية كبيرة للنفس من جميع جوانبها، وقد ذكرها في مواطن متعددة من مؤلفاته، منها(معارج القدس، إحياء علوم الدين) وإن اختلفت التعابير ولكنها تؤدي إلى معنى واحد .

المنارة للاستشارات

ويرى الغزالي أن مصطلح النفس يطلق بمعنيين؛ الأول: أن يطلق ويراد به المعنى الجامع للصفات المذمومة، وهي القوى الحيوانية المضادة للقوى العقلية وهو المفهوم عند إطلاق الصوفية، والثاني: أن يطلق ويراد به حقيقة الآدمي وذاته فإن نفس كل شيء حقيقته، وهو الجوهر الذي هو محل المعقولات وهو من عالم الملكوت[10].

ويراد بالنفس إما المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة في الإنسان، أو اللطيفة التي هي الإنسان بالحقيقة، وهي نفس الإنسان وذاته، ولكنها توصف بأوصاف مختلفة بحسب اختلاف أحوالها[11].

وفي "التعريفات" عند الجرجاني(816هـ)النفس هي: "الجوهر البخاري اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الإرادية، وسماها الحكيم: الروح الحيوانية، فهو جوهر مشرق للبدن، فعند الموت مشرق للبدن، فعند الموت ينقطع ضوؤه عن ظاهر البدن وباطنه، وأما في وقت النوم ينقطع ضوؤه عن ظاهر البدن وباطنه"[12].

النفس عند علماء النفس فهي: "جوهر الإنسان، ومحرك أوجه نشاطه المختلفة؛ إدراكية، أو حركية، أو فكرية، أو انفعالية، أو أخلاقية؛ سواء أكان ذلك على مستوى الواقع، أو على مستوى الوهم، والنفس هي الجزء المقابل للبدن في تفاعلهما وتبادلهما التأثير المستمر والتأثر، مكونين معا وحدة متميزة نطلق عليها لفظ (شخصية) تميز الفرد عن غيره من الناس، وتؤدي به إلى توافقه الخاص في حياته"[13].

أما "النفسية" فمن حيث كونها مصطلحا مفردا فهي تتعلق "بعلم النفس" تعلقا مباشرا، وعلم النفس(في الطب النفسي) هو فرع من العلوم يبحث في السلوك والخبرة والأفعال والعمليات العقلية للإنسان، ويبحث في الخبرة التي يمر بها الكائن الحي خلال تفاعله مع بيئته، وفي الحياة الشعورية واللاشعورية بمظاهرها الداخلية والخارجية[14].

ونخلص إلى القول: بأن النفس تدل على الإنسان بجملته من الروح والجسد في جميع مكوناته وفي جميع دوافعه وما هو مستعدٌ له من تعزيز وإعلاء أو انحراف وهبوط. أما النفسية من حيث كونها مصطلحا مفردا فهي تتعلق بعلم النفس الذي يدرس النفس الإنسانية على

المنارة للاستشارات

اعتبار أنها سلوك صادر عن دوافع ذاتية للإنسان، ويتضمن ثلاثة جوانب رئيسية: الجانب المعرفي المتعلق بالعمليات العقلية، الجانب الحركي المتعلق بالأنشطة التفاعلية، والجانب الوجداني المتعلق بالمشاعر والاتجاهات والقيم؛ والقيم النفسية تتضمن التركيز على قيم الفرد ومُحدداتها المختلفة في مختلف جوانبها.

الفرع الثالث المستضعفون لغة واصطلاحا :

الاستضعاف لغة : مشتق من الضَّعْف، (الضاد والعين والفاء) أصلان متباينان، يدل أحدهما على خلاف القوة وهو المراد هنا، ويدل الآخر على أن يزاد الشيء على أصل الشيء فيجعل مثلين أو أكثر. فَالْأَوَّلُ: الضَّعْفُ وَالضُّعْفُ، وَهُوَ خِلَافُ الْقُوَّةِ. يُقَالُ: ضَعُفَ يَضْعُفُ، وَرَجُلٌ ضَعِيفٌ، وَقَوْمٌ ضُعَفَاءُ وَضِعَافٌ[15].

ووردت مادة (ضع ف) وما تصرف منها سواء بمعنى الاستضعاف أو بمعنى الضَعف أو بمعنى الضُعف في أربع وخمسين موضعاً كما جاء في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن"[16].

الاستضعاف اصطلاحا : علاقة بين طرفين طرف مُستَضْعَف وطرف مُسْتضعِف. إنّه إيقاع الظلم والقهر والاستغلال من فئة قوية مسيطرة على فئة ضعيفة مسلوبة الحقوق[17].

والاستضعاف الذي ذكره القرآن نوعان:

الأول: استضعاف حقيقي: المستضعَف في هذه الحالة يكون معذورا في ضعفه، فهو في قرارة نفسه يرفض الذل والهوان والخنوع والتخلي عن الإيمان لإرضاء الفئة المستكبرة، لكنه لا يستطيع تغيير وضعه بسبب ضعف في الجسم أو قلة في العدد والعدة. وهو ما كان عليه معظم أتباع الرسل في مختلف الأزمان.

الثاني: استضعاف نفسي(وهمي) بسبب قوة خارجية ضاغطة عليه: المستضعَف في هذه الحالة يكون بمقدوره تغيير واقعه الذي يعيشه، لكنه لا يفعل ذلك لمرض في قلبه وهوى في نفسه، وليس بسبب قوة خارجية ضاغطة عليه[18].

المنارة للاستشارات

الفرع الرابع المستكبرون لغة واصطلاحا:

الاستكبار لغة: قال ابن فارس: "الكاف والباء والراء أصل صحيح يدل على خلاف الصغر"[19].

وجاء في "المفردات": "الكبر والتكبر والاستكبار متقاربة: فالكبر: الحالة التي تخصص بها الإنسان في إعجابه بنفسه، وذلك أن يرى نفسه أكبر من غيره[20].

والاستكبار على نوعين:

الأول: أن يتحرى الإنسان ويطلب أن يصير كبيرا، وذلك متى كان على ما يجب وفي المكان الذي يجب وفي الوقت الذي يجب فمحمود.

والثاني: أن يتشبع فيظهر من نفسه ما ليس له وهذا هو المذموم وجميع ما ورد في القرآن الكريم من الاستكبار من هذا النوع[21].

والخُلاصة أنّ صيغة كَبُر لها معنيان أحدهما حقيقي وهو : الزيادة في السن، وثانيهما مجازي وهو: الزيادة في كلفة الشيء .

أمَا الفعل "استكبر" ومشتقاته فقد ورد في القرآن في ستين موضعا[22]على وزن "استفعل" بمعنى تكبر على وزن "تفعل" للدلالة على المبالغة في التكبر.

الاستكبار اصطلاحا: "أن يرى المرء نفسه أكبر من غيره، طالباً ذلك بالتشبع وهو التزيين بأكثر مما عنده"[23]، والاستكبار ليس صيغة للتكبر ونوعا من الشموخ يوصف به الفرد الأناني المستعلي، وإنما هو وجود تكتل اجتماعي سياسي اقتصادي يطأ المستضعفين ويعلو في الأرض بغير الحق ويفسد فيه ويصد عن سبيل الله، ذلك السبيل الذي لا يقر بحال أن يعلو أحد من خلق الله على أحد، أو يظلم أحد أحدا[24].

المنارة للاستشارات

المطلب الأول: الحرية :

شاء الله سبحانه وتعالى أن يكون الإنسان أسمى مخلوق جاء من العدم إلى الوجود فميزه بالعقل والإرادة، وكرمه فمنحه الحرية التي هي "من أجمل ما منحه الله للإنسان بعد العقل، والحرية شيء يتصل بالروح والعقل وغيابها عن الإنسان يحمل معنيين الاعتداء على منحة من الله، وموت الإنسان معنويا وانحداره من مرتبة الإنسانية بشرفها إلى رتبة الدواب المسخرة التي تُقاد من أعناقها بالحبال"[25].

وما الحديث المتسارع عن حقوق الإنسان إلا أحد المظاهر البارزة لمسألة الحرية الإنسانية بكل تجلياتها، فالحرية قيمة عليا جامعة وضرورة من ضرورات الحياة ولا يحق لأي جهة مهما كانت سلب أي إنسان حريته التي هي حق طبيعي وليست منحة من ملك او حاكم، أو قرارا صادرا عن منظمة دولية.

وهي مطلب كل شعوب الأرض، وكل البشرية، ولا يوجد نظام مهما كانت درجة ديمقراطيته حقيقية أو استبدادية لا ينص على تقرير حرية الإنسان بمختلف أنواعها في إعلاناته لحقوق الإنسان.

والحرية "بحد ذاتها حاجة نفسية لا يستطيع الفرد العيش بسلام داخلي وخارجي دون أن يحياها شعورا وموقفا، وهي من أساسيات التحرر من قيود التوتر والخوف والألم، ذلك أن عدم القدرة على التعبير والتصرف بحرية يعيق الاستمرار في الحياة بتناغم وانسجام بين معطيات الفرد الداخلية وبين ما يحيط به من مستجدات"[26].

ونعرض لنماذج من مشاهد الحوار التي تدور يوم القيامة بين المستضعفين والمستكبرين، نستنبط من ثناياها هذه القيمة الثمينة: قال تعالى: ﴿ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا مِنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ قَالُواْ لَوۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيۡنَٰكُمۡۖ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٖ ٢١ ﴾[ابراهيم:21]،في موقف الآخرة يجتمع المستضعفون والمستكبرون الأتباع والمتبوعون، تمتلئ بهم الساحات، بارزون لله، موقوفون أذلاء من غير إرادة منهم ولا اختيار، قال تعالى: ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ ﴾[سبأ:31].

المنارة للاستشارات

والبروز الظهور بعد خفاء، وعبر سبحانه بالفعل الماضي" **بَرَزُوا** " مع أنهم ظاهرون له دائما على كل أحوالهم " لأنهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش، ويظنون أن ذلك خاف على الله فإذا كان يوم القيامة انكشفوا لله على أنفسهم، وعلموا أن الله لا يخفى عليه خافية"[27].

يُرفع الستار بهدوء، ينفتح المشهد أمامنا، ويبتدئ الضعفاء الحوار: "فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ"؟

"والضعفاء: عوام الناس والأتباع، والذين استكبروا: السادة، لأنهم يتكبرون على العموم"[28].

والضعف في هذه الآية ليس هو الضعف المادي بل هو ضعف النفس، وتخلّي الإنسان عن الحرية التي وهبه الله إياها، خلقنا الله سبحانه وتعالى سواسية كأسنان المشط، وهب الله كلا منا فكرا يميز به الخير من الشر، والحق من الباطل، حينما يعطل الإنسان فكره ويجمده، أو يسيئ استعماله ويتبع الأقوى بعقيدته، وتفكيره، وقيمه يكون قد تخلى باختياره عن حرية الاعتقاد التي منحه الله إياها، وليس في الأرض كلها جهة تستطيع أن تلزمك على أن تعتقد بعقيدةٍ ما، لأن هذه الجهة مهما قويت لا تستطيع أن ترى ما في فكرك من عقيدة[29].

"والضعف ليس عذرا، بل هو الجريمة؛ فما يريد الله لأحد أن يكون ضعيفا، وهو يدعو الناس كلهم إلى حماه يعتزون به والعزة لله. وما يريد الله لأحد أن ينزل طائعا عن نصيبه في الحرية التي هي ميزته ومناط تكريمه أو أن ينزل كارها"[30].

والتبع تابع مثل خادم وخدم وجائز أن يكون مصدراً سُمي به، أي كنا ذوي تبع[31].

ولا مانع من أن يراد الأمران: المصدر والجمع، فهؤلاء الضعفاء أتباع وتَبع لأسيادهم، وهذا معنى الجمع. كما أنّهم خالصوا التبعية والمتابعة والاستسلام لهم وهذا معنى المصدر[32].

المنارة للاستشارات

وجاء تقديم (لكم) على (تبعاً) لإفادة تخصيص التبعية لهم، وقصرها عليهم دون غيرهم، وحبس حياتهم رهن إشارتهم، وفيه إظهار مدى ندامتهم وحسرتهم على تلك التبعية لسادتهم الذين لم يستطيعوا أن يدفعوا عنهم ولا عن أنفسهم شيئاً وقد هلك الجميع[33].

ويظهر تأثير" الانعكاسات النفسية على أسلوب الحوار قوة أو ضعفاً، فكثيرا ما يدلنا السياق على حالة المحاور النفسية والاجتماعية في الوقت نفسه، إذ المعروف مثلا أن الذي يتكلم مع الآخرين وخلفه قوة ما" سواء أكانت بشرية أم غير ذلك" يكون أسلوبه في الخطاب مختلفا عن شخص آخر يخاطب أناسا ولا يعتمد على أي مصدر قوة، فالأول تظهر في ألفاظه نبرة الصوت العالي وتحريك الأيدي وتفاعل بقية الأعضاء التي تشعر المخاطب بنوع من التحدي، بينما الثاني لا تكاد ألفاظه تفصح عن مراده وصاحبها لا يعدو في خطابه أسلوب الاستلطاف واختيار الألفاظ الحسنة"[34].

وهذا ما نلاحظه في حوار المستضعفين فأسلوب الاستلطاف الممزوج بالذل والأمل المغلف بالأدب والرجاء في سؤالهم "فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ؟ يعكس نفسيتهم الضعيفة.

وقد أفاد سؤالهم "التوبيخ والتبكيت"؛ أي فهل أنتم دافعون عنا من عذاب الله الواقع بنا ولو كان شيئا يسيرا، إن استطعتم ذلك فأظهروا مكانتكم عند الله التي كنتم تدعونها وتغروننا بها في الدنيا[35].

أما جواب المستكبرين: ﴿ قَالُواْ لَوۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيۡنَٰكُمۡۖ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ٢١ ﴾ فهو جار على معنى الاستفهام التوبيخي العتابي إذ لم يجيبوهم بأنا لا نملك لكم غناء ولكن ابتدءوا بالاعتذار عما صدر منهم نحوهم في الدنيا، ولا يخلو من إلقاء اللوم عليهمفيالتبعية من غير تفكير وتبرير"[36].

ينتهي المشهد وقبل أن يُسدل الستار، يعترف المستكبرون بعظمة الله تعالى، ولكن اعترافهم في ذلك الوقت لا يجدي لأنه اعتراف بعد أوان؛ فلم يعد هنالك مفر ولا محيص.

المنارة للاستشارات

ويتجدد اللقاء بين المستكبرين والمستضعفين، ولكنّ لقاءَهم هذه المرة في النار، ويدور بينهم حوار عميق، وتتعالى أصواتهم ﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ ﴾[غافر:47:48].

ويبدو أنه حوار عقيم لا يجدي نفعا؛ إذ يحمل الفعل المضارع "يَتَحَاجُّونَ" في طياته هذه الدلالة؛ فهو جدال مستمر على باطل،ينتهي باعتراف المستكبرين ولأول مرة، أن المقام الآن مقام عدل فلا داعي للوم والتأنيب؛ فالتوكيد بـ "إِنَّا" أفاد الشمول، أي جميعنا في النار؛ مصيرنا واحد.

" لم يشفع لهم أنهم كانوا ذيولا وإمعات ولم يخفف عنهم أنهم كانوا غنما تساق لا رأي لهم ولا إرادة ولا اختيار، منحهم الله كرامة الإنسانية وكرامة الاختيار، والحرية، ولكنهم تنازلوا عنها جميعا وانساقوا وراء الكبراء والطغاة، وما كان تنازلهم عما وهبهم الله واتباعهم الكبراء ليكون شفيعا لهم عند الله.فهم في النار. ساقهم إليها قادتهم كما كانوا يسوقونهم في الحياة سوق الشياه"[37].

وقد يدفعهم إلى هذا التنازل شعور الخوف على الحياة أو الخوف على الرزق، أو الخوف على المكانة.. وهو شعور خبيث يغض من إحساس الفرد بنفسه؛ يدعوه إلى قبول الذل، وإلى التنازل عن كثير من كرامته، وكثير من حقوقه. ولكن الإسلام لشدة حرصه على أن يُحقق للناس العزة والكرامة، وأن يبث في نفوسهم الاعتزاز بالحق، والمحافظة على العدل... لهذا كله يعنى عناية خاصة بأن يقاوم الشعور بالخوف على الحياة وعلى الرزق وعلى المكانة، فالحياة بيد الله، وليس لمخلوق قدرة على أن ينقص هذه الحياة ساعة[38].

يقول الكواكبي في "طبائعه": إن من أقبح أنواع الاستبداد استبداد الجهل على العلم، واستبداد النفس على العقل ويسمى استبداد المرء على نفسه وذلك أن الله جلت نعمه خلق الإنسان حرا، قائده العقل لا أن يكون عبدا قائده الجهل... خلقه منفردا غير متصل بغيره ليملك اختياره في حركته وسكونه [39].

المنارة للاستشارات

فليس له أن يتنازل عن حريته في ما يعتقد، ويستسلم بحجة تأثير القوة الظاهرة التي يمتلكها المستكبرون لأن القضية متعلقة بالرغبة الذاتية وراء الانسياق خلفهم.

ولعل نظرة سريعة لقوله تعالى: ﴿ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ﴾ [سبأ:32] تكشف لنا عن هذه القضية عن واقع العبودية الذليلة والمشاعر الانهزامية للمستضعفين في الدنيا، ومغبة تسليمهم المطلق للمستكبرين .

إن الحرية المطلوب أن نحياها اليوم تتمثل في ترك الطاعة العمياء، في أن لا يملك غيرنا قرارنا، في رفض تسليم عقولنا سواء بسطوة الاستبداد الفكري أو سياسة القطيع، في هجر سفاسف الأمور، في رفض التهاون لمنطق الظلم وأخلاقياته، حرية لا تتجمد عند حدود الكلمات والشعارات. حرية تتجسد في الممارسة والسلوك في إطار النظام العام وميزان الشريعة.

"إنك قد تكون عبدا حتى لو كنت تملك حرية الحركة في الساحات كلها، وذلك عندما لا تملك إرادتك، وقد تكون حرا وأنت لا تستطيع أن تحرك رجليك في الزنزانة، لأنك تملك إرادتك، فأن تكون حرا يعني أن تكون إرادتك حرة، وأن تكون الإنسان الذي يصبر على الأذى، ويصبر على الحرمان في سبيل القضايا الكبرى"[40].

المطلب الثاني: المسؤولية الفردية:

تعد المسئولية الفردية واحدة من القيم التي أرساها القرآن الكريم، وحرص على تأكيدها إعمالا لمبدأ العدل في الحساب؛ إذ أن مناط التكليف فرديا، فلا يتحمل الإنسان إلا مسؤولية أفعاله واختياراته ولا يؤخذ بجريرة غيره.

ويرى دراز: أن المسؤولية قبل كل شيء استعداد فطري، إنها هذه المقدرة على أن يلزم المرء نفسه على أن يفي بعد ذلك بالتزامه بواسطة جهوده الخاصة، فهي ليست إلا سمة من السمات المميزة التي يأخذها الإنسان من جوهر ذاته[41].

المنارة للاستشارات

ونقف مع هذه المشاهد الحوارية؛ وهي مشاهد تحمل في طياتها أبعادا نفسية تلقي بظلالها على السامع، فتجعله يتأثر فيها، ويتفاعل معها، توقظ في نفسه حس المسؤولية، وتدعوه ليقف عندها وقفة متأنية متأملا في حياته ماذا قدم؟ وإلى ماذا سيكون مآله؟ فإنه سيقف للحساب وحيدا وسيتحمل وحده النتائج، ولن ينفعه الندم.

قال تعالى: ﴿ وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ٢٧ قَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ ٢٨ قَالُواْ بَل لَّمۡ تَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٢٩ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٖۖ بَلۡ كُنتُمۡ قَوۡمٗا طَٰغِينَ ٣٠ فَحَقَّ عَلَيۡنَا قَوۡلُ رَبِّنَآۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ٣١ فَأَغۡوَيۡنَٰكُمۡ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ٣٢ فَإِنَّهُمۡ يَوۡمَئِذٖ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ ٣٣ ﴾ [الصافات:27-32]

أمام موقف الحساب يشتد الخصام، وترتفع الأصوات المتنافرة، كلٌ يلقي بالمسؤولية على غيره في السبب الذي أوصله إلى العذاب. والضمير في قوله تعالى "يَتَسَاءَلُونَ" يعود على "الأتباع والرؤساء المضلون،يسأل بعضهم بعضا سؤال تقريع بطريق الخصومة والجدال"[42].

وللمفسرين جملة من الأقوال في معنى "اليمين" منها[43]: أن المراد من اليمين: جهة الخير والنصيحة واليمن، أي يقول الضعفاء للرؤساء إنكم كنتم تأتوننا في الدنيا توهمونا وتخدعونا; أن ما أنتم عليه أمر ميمون فيه الخير والفوز، فأين مصداقه وقد نزل ما نزل؟

وقيل المراد باليمين: القوة والغلبة والقهر، أي يقول الضعفاء للرؤساء كنتم في الدنيا تقهروننا وتجبرونا بقوتكم وسلطانكم على اتباعكم لأننا كنا ضعفاء أذلاء .

وقيل المراد باليمين: المواثيق والأيمان، أي يقول الضعفاء للرؤساء كنتم تقسمون لنا أن ما تدعوننا إليه هو الحق، فوثقنا بأيمانكم وتمسكنا بعهودكم التي عهدتموها لنا فأين صدقكم من هذا؟

ولا مانع في أن تحتمل الآية كل هذه الدلالات، فالرؤساء أوهموا الضعفاء بأنهم على الحق، وأقسموا لهم على هذا ليصدقوهم، وأجبروهم بقوتهم وسلطانهم على اتباعهم.

المنارة للاستشارات

هذا المشهد؛ مشهد إسقاط المسؤولية يُجسد واقعنا تجسيدا حيا وإن اختلفت دوائره "وقد يلقي جيل من الأجيال مسؤولية تخلفه على كاهل الأجيال السابقة التي لم تخلف سوى الديون والأرض المحروقة؛ حتى وصل الأمر إلى أن أصبح لسان الحال ينطق بالمقولة الذائعة" مشكلاتنا صنعها الجيل السابق وسوف يحلها الجيل اللاحق" أما نحن فأبرياء من كل تبعة!

هذا التخريج السيئ لما نحن فيه أفرز شعورا بـ (الجبرية)؛ فكل ما يجري في مجتمعاتنا مفروضا فرضا، ولا حيلة لنا فيه، كما أثمر الإسقاط أيضا ضعف الشعور بالحاجة إلى النقد الذاتي... والعاقبة المتحارجة التي نفضي إليها هي لا محاسبة ولا مراجعة والحصاد هو مزيد من التأزم ثم التفجر النفسي والاجتماعي "[44].

وأمام مشهد سورة سبأ نستشعر فيه كما هي العادة "الجو القرآني الرائع النابض بالحياة، لنعيش فيه كل ذلك في صورة لا تتسع ملامحها لمساحات كبيرة من الخطوط، ولكنها تتدفق في أعماقها ومعطياتها بالكثير"[45].

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ ٣١ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُمۡ بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ ٣٢ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۚ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٣٣ ﴾[سبأ: 31-33]

يصور الله عز وجل حال "هؤلاء الظالمين وهم موقوفون على غير إرادة منهم ولا اختيار؛ إنما هم مذنبون بالوقوف في انتظار الجزاء عند ربهم،ربهم الذي يجزمون بأنهم لن يؤمنوا بقوله وكتبه. ثم هاهم أولاء موقوفون عنده، لو ترى يومئذ لرأيت هؤلاء الظالمين يلوم بعضهم بعضا، ويؤنب بعضهم بعضا، ويلقي بعضهم تبعة ما هم فيه على بعض"[46].

المنارة للاستشارات

ربما ظن أولئك المستضعفين أنهم يستطيعون النجاة بإلقاء المسؤولية على الذين اتبعوهم، كعادتهم في الدنيا بالتهرب من تحمل المسؤولية ﴿ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ الأمر الذي يدفع المستكبرين للرد عليهم بقوة، منكرين عليهم تحميلهم المسئولية:"قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ"فهم دخلوا الكفر بإرادتهم، وكفرهم هذا صدهم عن قبول الإيمان، أما دعوة المستكبرين لم تكن ملزمة لهم؛ لأنها دعوة بغير دليل.

ونلحظ مجيئ الخطاب للمستضعفين بالجملة الإسمية في هذا الموضع من السورة: ﴿ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ﴿٣٣﴾﴾ [سبأ:31]، ونظيره في سورة الصافات: ﴿بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [الصافات:30]، يؤكد على هذا المعنى فهو مؤذن "بتعمدهم إياه وتصميمهم عليه على بصيرة منأنفسهم دون تسويل مُسَوِّل"[47].

ويعود المستضعفون ليبينوا للمستكبرين أنهم هم السبب في ضلالهم،﴿ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ والمكر: "الاحتيال بإظهار الماكر فعل ما ليس بفاعله ليغر المحتال عليه. والمعنى ملازمتهم المكر ليلا ونهارا، وهو كناية عن دوام الإلحاح عليهم في التمسك بالشرك "[48].

ونستدل من تنكير لفظة "مكر" على عمومه في كل زمان ومكان، وفي إضافته لليل والنهار وهو ما يسمى "بالإسناد المجازي" إشارة إلى أن مكرهم مستمر يستغرق كل الأوقات والأزمنة. وفي الآية إشارة إلى مدى الحقد الذي يحمله الكافرون والمتآمرون تجاه الإسلام والمسلمين من خلال التخطيط الدائم ليلا ونهارا سرا وعلانية، بشتى الوسائل والطرق، لإيقاع المسلمين في كل أنواع الضلال.

إن هذا المكر الذي يحاك لنا يفرض علينا، ضرورة التحرك، والتخطيط المضاد، عملا وفكرا، وإن تمكين القيادات الفكرية من التخطيط لسياسات الأمة، يُحصنها من الأمراض المحدقة بها ويضمن لها الاستمرارية.

المنارة للاستشارات

إن مرض المسلمين، ليس في عدم وجود المنظمات والمخططات، بل في جمود العقل والفكر، فإن كان لا بد من منظمات ومخططات فليكن في التنظيم والتخطيط، في سبيل رفع الآصار والأغلال عن القلوب المقفلة. إن التنظيم والتخطيط ليسا في حد ذاتهما هدفا، بل هما أداة ووسيلة، قد تساعد على التخلص من الآصار والأغلال، وقد تُثبتُها، أو تزيدها، أو تستبدلها بأثقل منها. وما لم ندرك هذا بوضوح فسنظل ندور في التيه[49].

والضمير المرفوع في قوله تعالى " أَسَرُّواْ" راجع إلى المستضعفين والمستكبرين، والإسرار الإخفاء أي: "أخفوا الغم والأسف على ما فعلوا من الظلم؛ والمراد إخفاء آثارها كالبكاء، وعض اليد وإلا فهي من الأمور الباطنة التي لا تكون إلا سرا وذلك لشدة حيرتهم وبهتهم لما رأوا العذاب" [50].

هذا المشهد الصامت من مشاهد الألم النفسي"وَأَسَرُّواْ النَّدَامَةَ" يهز المشاعر، ويُحرك الضمائر. يخُيّل إليهم في هذه اللحظات شريط حياتهم، حدقوا النظر في تفاصيله، كانت أعمالهم ومواقفهم في الدنيا تتراءى أمامهم، حاولوا أن يتكلموا ما استطاعوا، دُفنت الكلمات في صدورهم، وأصابهم ما أصابهم من الكمد. ما أقصر الحياة ! وما أوجع الندم! بدا العذاب ماثلا أمامهم، وأصوات الأغلال حاضرة، حاولوا الفرار ما استطاعوا، أيقنوا أنهم على مسرح الآخرة، فاستسلموا لمصيرهم أذلاء مقيدين يُجرون إلى النار .

ما أعجب شأننا في هذه الحياة نعلم أن بقاءنا فيها محدود، وإقامتنا فيها مُنصرمة، ومع ذلك فإننا لنغرق في الأمل حتى لكأنّ الخلود من لوازم الحياة... هذه الحياة على اتساعها قصيرة الأمد بالنسبة إلى الإنسان فليس له من زمنها إلا وقت قصير وليس له من مباهجها إلا لذائذ محدودة، وليس له من خيراتها إلا قدر ضئيل، إنك مهما عمّرت منها فلن تعيش إلا عشرات من السنين ليست بالنسبة إلى الزمن المستمر إلا جزءا من ملايين الأجزاء[51].

المنارة للاستشارات

إن البكاء على اللبن المسكوب لا ينفع وكثرة اللوم، والمبالغة في عتاب النفس يفقدها الكثير من القدرة على الحركة والنشاط، والعاقل من يلوم نفسه للتقصير ثم يعزم أمره على حسن التدبير ثم يتبع النوايا بالأفعال ويستعصم بحبل الله المتين .. فمن تجاوز في لوم نفسه عن الاعتدال ربما زجّ بها في مضائق الألم وجعلها أسيرة الحسرات فيفسدها من حيث أراد إصلاحها ويوقفها من حيث أراد لها الانطلاق[52].

لقد كان من أهداف الإسلام في القرآن الكريم تحرير إرادة الإنسان من الخضوع لتأثير القوة الظاهرة التي يمتلكها المترفون والمستكبرون كسبيل من سبل تحريره من الاستسلام لأفكار هؤلاء ونزواتهم ومخططاتهم التي لا تسير في اتجاه الخير غالبا، بل تسير باتجاه الشر دائما وذلك من أجل أن يبقى الإنسان مستقل الإرادة لنفسه كي يمارس مسئوليته في المجتمع انطلاقا من قناعاته الذاتية بما يعمل، فلا يستسلم لفكرة أنه محكوم للغير في تفكيره وحياته وأن غيره مسؤول عنه، وهو مجرد آلة مسخرة تتحرك بإرادة الآخرين وتقف بإرادتهم أيضا[53].

وفي ظل ما نعيشه اليوم من تحديات متسارعة على المستويين الفردي والجماعي؛ فإنه ينبغي على كل إنسان تفعيل مسئوليته الفردية وعدم الاكتفاء بإلقاء المسؤولية على الأنظمة والقادة، وتسخير كل الإمكانات التي أنعمها الله تعالى عليه تسخيرا إيجابيا ومثمرا، فقد منحه عقلا مفكرا، كما منحه حرية الإرادة ليتحمل مسؤوليته، وينطلق في ممارسة حياته عن وعيوب صيرة، وإدراك يقظ تجاه نفسه وتجاه الآخرين وتجاه المجتمع الذي يعيش فيه، إذ "إنّ الهُوِيَّة الفردية لا تكتمل إلا بالاندماج في وعي جماعي، حينئذ يشعر الإنسان بقيمته كفرد مجرد، وقيمته كفرد في جماعة أو مجتمع، لأنّ فلسفة الحياة تكمن في أن ينظر الإنسان لغيره كما ينظر لنفسه، واعتبار ذلك من صميم الإيمان"[54].

وإن ما يُعزز من تحمل الإنسان لمسؤوليته في الحياة بقوة وصلابة؛ أن لا يغفل عن محاسبة نفسه ومراقبة ربه فمهما طرحت القوانين الوضعية "من حمايات أخلاقية لبرامجها، ورسمت قيما مثالية تحميها من التبديد والاستغلال والتمييع، فإنّ هذه الحمايات وتلك القيم لا تعدو أن تكون نظريات معلقة في عالم المثال، مادامت لا تمتلك القوة الداخلية

المنارة للاستشارات

المركوزة في أعماق الإنسان، تحولها إلى ممارسات وسلوك تحرسها المسؤولية، وتعمقها يقظة الضمير، وتحركها رقابة الله الدائمة صوب الأحسن والأكمل"[55]

فالمؤمن إذا تربى على مراقبة الله فإنه يحكم مساره وفق ما أراد الله تعالى، وينضبط عملا وسلوكا على موازين الخير والفضيلة، لأنه يوقن أن الجميع "سيناقشون في الحساب ويطالبون بمثاقيل الذر من الخطرات واللحظات، وأنّه لا ينجيهم من هذه الأخطار إلا لزوم المحاسبة وصدق المراقبة... فمن حاسب نفسه قبل أن يُحاسب خفّ في القيامة حسابه، وحضر عند السؤال حسابه، وحسن منقلبه ومآبه، ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته"[56].

المطلب الثالث: الثقة بالنفس:

إن من نعم الله على الانسان أن يمنحه القدرة على معرفة نفسه، ووضعها في الموضع اللائق بها، لأن جهل الإنسان بذاته يجعله لا يقدر قيمة نفسه.

والثقة بالنفس لا تعني الغرور أو الغطرسة، وإنما هي نوع من الاطمئنان المدروس إلى إمكانية تحقيق النجاح والحصول على ما يريده الإنسان من أهداف. فالمقصد من الثقة بالنفس هو الثقة بوجود الإمكانات والأسباب التي أعطاها الله للإنسان، فهذه ثقة محمودة وينبغي أن يتربى عليها الفرد ليصبح قوي الشخصية، أما عدم تعرفه على ما معه من إمكانات، ومن ثم عدم ثقته في وجودها، فإن ذلك من شأنه أن ينشأ فردا مهزوز الشخصية لا يقدر على اتخاذ أي قرار. ونرصد ما تردد في حوارات المستضعفين والمستكبرين من عبارات عكست دلالات الثقة بالنفس.

يمثل المشهد الذي نحن بصدد الحديث عنه "الاستضعاف الحقيقي" الذي كان عليه المستضعفون المؤمنون من أتباع الرسل كأتباع صالح عليه السلام على أيدي الملأ المستكبرين من قومه قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِمَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُمۡ أَتَعۡلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحٗا مُّرۡسَلٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلَ بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ٧٥ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِيٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٧٦ ﴾[الأعراف:75.-76]

المنارة للاستشارات

وأول ما يطالعنا في هذا المشهد الالتفات حيث "عدل الملأ الذين استكبروا عن مجادلة صالح عليه السلام إلى اختبار تصلب الذين آمنوا به في إيمانهم، ومحاولة إلقاء الشك في نفوسهم"[57].

ووصف سبحانه قومه بـ (الذين استكبروا) لبيان فظاعة كبرهم وتعاظمهم على قومهم وإستذلالهم إياهم... واختار طريق الموصولية في وصفهم، ووصف الآخرين بالذين استضعفوا لما تومئ إليه الصلة من وجه صدور هذا الكلام منهم، أي أن استكبارهم هو صارفهم عن طاعة نبيهم، وأن احتقارهم المؤمنين هو الذي لم يسغ عندهم سبقهم إياهم إلى الخير والهدى[58].

والغرض من سؤال الملأ: ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾؟ واضح أنه للتهديد والتخويف، ولاستنكار إيمانهم به، وللسخرية من تصديقهم له في دعواه الرسالة من ربه"[59].

وأمام السؤال كان الجواب...إنه جواب الثقة بالنفس. جواب من لا يخاف التهديد والتخويف، لقد أعلنوا الإيمان بما أرسل به، وما أرسل به لا يخضع لأساطير التشويه لأنهم على يقين من أمرهم. ولا يهتز أمام السخرية والإستنكار، لأنه راسخ في أعماق الفطرة وأعماق الوجود، ولا يخاف من سياسات التجويع والتخويف، لأن من عرف الحق لا يجوع ومن تمسك بالصبر لا يخاف[60].

وكان مقتضى مطابقة الجواب للسؤال أن يقولوا: نعم، أو نعلم أنه مرسل من ربه، أو إنا برسالته عالمون، ولكنهم أجابوا بما يستلزم هذا المعنى ويزيد عليه؛ وهو أنهم علموا بذلك علما يقينيا إذ عانيا، له السلطان على عقولهم وقلوبهم، إذ آمنوا به إيمانا صادقا كاملا فصار صفة من صفاتهم الراسخة التي تصدر عنها أعمالهم[61].

وعدولهم عن قولهم "هو مرسل" إلى قولهم "إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ" في غاية الحسن؛إذ أمر رسالته معلوم واضح مُسَلَّمٌ لا يدخله ريب لما لا أتى به من هذا المعجز الخارق العظيم، فلا يحتاج أن يسأل عن رسالته ولا أن يستفهم عن العلم بإرساله[62].

المنارة للاستشارات

وفي المقابل نقف مع جواب الملأ المستكبرين والذي صيغ بالجملة الإسمية المؤكدة "إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ"، وهو ينبئ كذلك عن ثقة بالنفس، ولكن شتان بين الثقتين، فالثقة هنا ثقة مستندة على الأسباب المادية، ثقة وهمية ممزوجة بالغرور، يعززها الأتباع فتكون دافعا لاستمرارهم على نهجهم من الاستعلاء والاستبداد.

أمّا مشهد سبأ فيكشف لنا الحوار فيه عن صورة مفارقة في شخصية المستضعفين الكافرين في الدنيا عن الآخرة، يسعى المستضعفون من خلالها إلى تعديل الصورة المغلوطة التي رسموها في الدنيا عن ذواتهم من الذل والهوان، واستعادة ثقتهم التي تخلوا عنها طوعا واختيارا.

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾

فالتعبير بالفعل المضارع " يَقُولُ "فيه استحضار لحالة القول"لأنها حالة غريبة لما فيها من جرأة المستضعفين على المستكبرين ومن تنبه هؤلاء من غفلتهم عما كان المستكبرون يغرونهم به حتى أوقعوهم في هذا المأزق."يقولون لهم هذه القولة الجاهرة اليوم؛ ولم يكونوا في الدنيا بقادرين على مواجهتهم هذه المواجهة. كان يمنعهم الذل والضعف والاستسلام، وبيع الحرية التي وهبها الله لهم، والكرامة التي منحها إياهم، والإدراك الذي أنعم به عليهم. أما اليوم وقد سقطت القيم الزائفة، وواجهوا العذاب الأليم، فهم يقولونها غير خائفين ولا مبقين... ولو كانوا في الدنيا، لقبع المستضعفون لا يَنْبِسُونَ بِبِنْتِ شَفَة ولكنهم في الآخرة حيث تسقط الهالات الكاذبة والقيم الزائفة؛ وتتفتح العيون المغلقة، وتظهر الحقائق المستورة"[63].

المنارة للاستشارات

ومرة أخرى تستوقفنا نفسية المستكبر، فثمة ملامح من الثقة بالنفس" أَنَحْنُ صَدَدنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَآءكُمْ "فصوت الاستفهام الذي يفيد معنى الإنكار" والضمير المنفصل (نحن) بالإضافة إلى الضمير المتصل (نا) في (صَدَدنَاكُمْ) كلها توحي بالانفعال والقوة. كما نرى عبارتهم في الرد مختزلة وحاسمة كأنها حقيقة لا تقبل النقاش" بَلْ كُنتُمْ مُّجْرِمِينَ" .

وهكذا يتبين لنا من خلال المواقف الحوارية التي عرضنا لها أن الاستضعاف لا ينشأ إلا عن قابلية الهزيمة في النفوس فالمهزوم نفسيا ضعيف الثقة في نفسه وإيمانه، وتفكيره وسلوكه، مُعظّم لغيره من أصحاب النفوذ ولو كان على حساب دينه ومبادئه كما أنّ الاستكبار لا ينشأ إلا بسبب الاستضعاف.

فالاستكبار والاستضعاف هما اشتقاقان من مرض نفسي واحد. تبدأ أعراضه الأولى من المستضعف ابتداءً الذي يهيئ المناخ الملائم للمستكبر الذي يهيئ المناخ الملائم للمستكبر ليقوم بدوره في الاستبداد. فالاستكبار ليس مرضاً مستورداً من الخارج، بل هو لازمة لوجود حالة التفكك في شخصية المستضعفين، ساعد عليها توافر الإمكانيات المادية بيد المستكبر" الاستبداد[64].

إننا في أشد الحاجة إلى تعرية هذا المرض الخبيث؛ مرض الهزيمة النفسية ولا بد لنا ونحن نعالج هذا الواقع من" أن نركز وسائل العزة والنهوض ، وأن نعالج الخلل الذي سبب النكسة والتراجع، وأن نضع أيدينا على الجرح ونُشخص الداء ونأتي بالدواء، وأن لا نسمح لليأس أن يتسرب إلى قلوب عوام الناس[65].

إن إعادة بناء الثقة في النفوس يتطلب "رفع مستوى دافعية الذات، واستمراريتها للحياة والعمل والعطاء والمضي مع حركة الكون نشاطا وحيوية ومثابرة لأن الحياة ليست على نسق واحد، ففيها من المتاعب والآلام، ولكنها تتطلب نفوسا قوية، ومعنويات عالية، وهمة متقدة، وأمل بسام[66].

المنارة للاستشارات

المطلب الرابع :اليقين:

اليقين روح أعمال القلوب التي هي روح أعمال الجوارح. ومتى وصل اليقين إلى القلب امتلأ نورا وإشراقا، وانتفى منه كل ريب وشك وسخط وغم وهم، وامتلأ محبة لله وخوفا منه ورضا به وشكرا له، وتوكلا عليه، وإنابة إليه، فهو مادة جميع المقامات والحامل له[67].

والهدف من إيراد هذا المشهد الحواري اليقين بوعود الله، والتحذير من وعود الشيطان التي يزينها لأتباعه في الحياة الدنيا.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢٢ ﴾[ابراهيم :22].

لا بد من موقف نتخيله سبق قول الشيطان، موقف الأتباع له؛ ذلك أنّهم اجتمعوا واتّفقوا على محاسبته ومطالبته بتنفيذ وعوده التي وعدهم إياها في الدنيا؛ وزين لهم بها المعاصي، ثم هي اليوم وعود خُلف وكذب.

يتصارخون بملء أفواههم، والصراخ: "الصيحة الشديدة عند الفزع أو المصيبة وقيل الصراخ الصوت الشديد أيا ما كان، والصارخ المستغيث والمصرخ المغيث" [68]

يُدهشنا القرآن الكريم بجزالة ألفاظه وفخامة معانيه، كل لفظة لها صوتها الذي يتناسب مع أصدائها، تسمع كلمة "مُصْرِخِ" في الآية" فيخيِّل إليك جرسها الغليظ، غلظ الصراخ المختلط المتجاوب من كل مكان، المنبعث من حناجر مكتظة بالأصوات الخشنة" [69].

وأمام موقف الأتباع، ما كان من الشيطان إلا أن أطلق كلماته هذه، محاولا قدر الإمكان أن يخفي خزيه فقد قُضي الأمر وتمَ الشأن.

ومعنى إتمامه: ظهوره وهو أمره تعالى بتمييز أهل الضلالة وأهل الهداية، وذلك بتوجيه كل فريق إلى مقره الذي استحقه بعمله"[70].

المنارة للاستشارات

وإن شخصية الشيطان تبدو هنا كما يقول سيد قطب "على أتمها كما بدت شخصية الضعفاء وشخصية المستكبرين في هذا الحوار...الشيطان الذي وسوس في الصدور وأغرى بالعصيان، وزيّن الكفر، وصدهم عن استماع الدعوة... هو الذي يقول لهم وهو يطعنهم طعنة أليمة نافذة، حيث لا يملكون أن يردوها عليه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ﴾، ثم يخزهم وخزة أخرى بتعييرهم بالاستجابة له، وليس له عليهم من سلطان، سوى أنهمتخلوا عن شخصياتهم، ونسوا ما بينهم وبين الشيطان من عداء قديم، فاستجابوا لدعوته الباطلة وتركوا دعوة الحق من الله، ثم يخلي بهم، وينفض يده منهم.[71].

إن هذا الإبداع في تصوير الموقف الفريد، الذي يتخلى فيه التابع عن المتبوع، ويتنكر المتبوع للتابع، حيث لا يجدي أحدا منهم أن يتخلى أو يستمسك؛ ولكنها طبيعة كل فريق تبرز عارية أمام الهول العظيم، وإن الشيطان هنا لمنطقي مع نفسه، ومع الصورة التي يرسمها القرآن له وإلا فما يكون شيطانا بغير هذا التلاعب والتبجح والإنكار[72].

ونستدل من قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ ﴾نفي الهيمنة الحقيقية للشيطان على الإنسان؛ فهو لا يملك السلطة المطلقة لإغوائه، وليس له إلا الوسوسة، فالإنسان هو من يسلم نفسه لوساوسه بالابتعاد عن اللجوء لله تعالى والاستعادة منه.

يقول الزمخشري عند تفسير هذه الآية: "وهذا دليل على أن الإنسان هو الذي يختار الشقاوة أو السعادة ويحصلها لنفسه، وليس من الله إلا التمكين، ولا من الشيطان إلا التزيين ولو كان الأمر كما تزعم المجبرة لقال: فلا تلوموني ولا أنفسكم، فإن الله قضى عليكم الكفر وأجبركم عليه"[73].

والاستئناف في قوله تعالى على لسان الشيطان: ﴿ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ﴾ فيه إظهار لمزيد من التبرؤ في كفره بإشراك أتباعه إياه في الدنيا، وإنكاره لأي علاقة بينه وبينهم[74].

المنارة للاستشارات

إن اليقين عندما يكون حقيقة راسخة وحاضرة في الذهن، وواقعا معاشا، فإنه سرعان ما يثمر كمال العبودية في أروع صورها من الامتثال لأوامر الله واجتناب نواهيه والاجتهاد في طاعته، فإن اليقين الراسخ بوعد الله تعالى يُعد من أعظم الحوافز الدافعة إلى العمل الصالح واستقامة السلوك التي يتميز أهل الإيمان والطاعة عن أهل الكفر اعتقادا وسلوكا[75].

الخاتمة:

أولاً: النتائج:

نخلص من هذه الدراسة إلى النتائج الآتية:

1. استنباط أبرز القيم النفسية من مشاهد الحوار بين المستضعفين والمستكبرين من سور (الأعراف، ابراهيم، سبأ، الصافات، غافر)، وقد تجسدت في أربعة مطالب من وجهة نظر الباحثين وهي: – الحرية – المسئولية الفردية– الثقة بالنفس– اليقين .

2.أهمية القيم النفسية في حياة الأفراد والجماعات؛ فهي تُشكل جوانب شخصية الفرد كالجانب الإيماني والجانب النفسي والجانب الأخلاقي والجانب الاجتماعي، كما أنها تعد ركيزة من ركائز المجتمع.

3. إن دراسة القيم النفسية من خلال القرآن الكريم يساعد على حل كثير من المشكلات المعاصرة .

4. إن مشاهد الحوار بين المستضعفين والمستكبرين في القرآن الكريم، لها تأثير على النفوس بما فيها من قيم تدعو إلى التأمل والتدبر.

ثانيا: التوصيات:

في ضوء ما تقدم نوصي بالآتي:

1. الاهتمام بالبناء النّفسي عند البدء بأي إصلاح وذلك من خلال تمكين القيم الإيجابية في النفوس

2. إيلاء الدراسات النفسية في القرآن الكريم مزيداً من الاهتمام؛ فعلى الباحثين استنباط المزيد من القيم وتفعيلها في ضوء القرآن الكريم.

المنارة للاستشارات

3. إصلاح المناهج التربوية بحيث تُهيئ الأجيال تهيئة نفسية سوية على القيم الإيجابية، وتعزيز الذات وذلك من خلال تضمين المقررات الدراسية جزءا من الدراسات النفسية وتدريب الطلبة على الحوار البنّاء .

4.عمل دراسات مُشتركة بين أهل الاختصاص من علم النفس وأهل الاختصاص من الشريعة في هذا المجال .

هذه أهم النتائج والتوصيات، نسأل الله تعالى أن يتقبل هذا الجهد، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم وأن يُثقل به الموازين.والحمد لله رب العالمين .

الهوامش:

[1] ينظر الجوهري، أبو نصر اسماعيل بن حماد(393هـ- 1003م)، الصحاح "ناج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عطار، بيروت، دار العلم للملايين ، 1407هـ1987م، ط4، ص2017.

[2] ينظر ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل جمال الدين بن منظور (ت711هـ- 1311م)، **لسان العرب**، ط.3، بيروت: دار صادر، 1414هـ- 1993م، 5 /3781.

[3] ينظر الفيروز آبادي. أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد (ت817هـ-1415م. **القاموس المحيط**، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، ط.8، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1426 هـ- 2005م، ص،1125.

[4] ينظر أنيس، إبراهيم أنيس وآخرون (ت 1397هـ-1977م). **المعجم الوسيط**. ط.4، القاهرة: مجمع اللغة العربية، 1425هـ-2004م، ص 68.

[5] ينظر ابن منظور، **لسان العرب**، **12**/ 224.

[6] ينظر الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، الملقب بمرتضى الزبيدي (ت**1205**هـ- 1790م). **تاج العروس من جواهر القاموس**. تحقيق: مجموعة محققين، ط.1، بيروت: دار الفكر، 1994م-1414هـ، 597/17.

[7] ينظر الجلاد. ماجد زكي. **تعلم القيم وتعليمها**. ط.2، عمان: دار المسيرة، 1428هـ- 2007م، ص21.

[8] ينظر ابراهيم، مجدي عزيز. **موسوعة المعارف التربوية**. ط.1، الرياض: عالم الكتب، 1428هـ- 2007م، ص2575.

[9] ينظر خليفة، عبد اللطيف محمد. **ارتقاء القيم " دراسة نفسية"**. ط.1، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون، 1410هـ-1990م، ص151.

[10] الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد(ت505هـ-1111م). **معارج القدس في مدارج معرفة النفس**. ط.2، بيروت: دار الآفاق، 1394هـ - 1975م، ص13.

[11] ينظر الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد(ت505هـ-1111م). **إحياء علوم الدين**. ط.1، بيروت: دار ابن حزم، 1425هـ-2005م، 4/3.

المنارة للاستشارات

[12] ينظر الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف(ت816هـ-1413م). **التعريفات**. ط.1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1403هـ- 1983م، ص.262.

[13] ينظر طه، فرج عبد القادر طه. **أصول علم النفس الحديث**. القاهرة: دار قباء، 2000م، ص25.

[14]) ينظر قمحية، حسان العمد، وسمير، عمار سمير، وقعصراني، معتز قعصراني، **الطب النفسي**.دار الألباب، ط.1، دمشق: دمشق، *1413هـ- 1993م، ص2.*

[15] ينظر: ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي(ت 395هـ-1004م). **معجم مقاييس اللغة**. تحقيق: عبد السلام هارون، بيروت: دار الفكر، 1399هـ- 1979م، 362/3.

[16] ينظر عبد الباقي، محمد فؤاد بن عبد الباقي بن صالح(ت1388هـ-1967م). **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن**. القاهرة: دار الحديث، 1364هـ- 1944م، ص.517.

[17] ينظر : أوعيشة، مصطفى أوعيشة. **مفهوم الاستكبار والاستضعاف في القرآن**. ط.1، القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر، 1436هـ -2014م، ص47.

[18] ينظر: بدران، غسان عاطف. **المستكبرون والمستضعفون" دراسة قرآنية"**. رسالة ماجستير، إشراف :أحمد نوفل، الجامعة الأردنية ،الأردن، 1988م، ص10.

[19] ينظر ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، مادة "كبر" ، 154/5.

[20] ينظر الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني(ت 502هـ- 1108م). **المفردات**. تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط.1، بيروت: دار الأرقم، ب1412هـ-1992م، ص697.

[21] ينظر: أوعيشة، **مفهوم الإستكبار والإستضعاف في القرآن**. ص25.

[22] ينظر: عبد الباقي. **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن**. ص693.

[23] ينظر: الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريمي(ت1094هـ- 1683م). **الكليات**. تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، ط.2، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1419هـ - 1998م، ص28.

[24] ياسين، عبد السلام بن محمد بن سلام. **الإسلام وتحدي الماركسية اللينينية**. 1987م، د. ت، ص122.

[25]) ينظر بهجت، أحمد شفيق(1433هـ- 2011م). مقال **"الله والحرية، الأهرام**، السنة 114، ع. 37681، 1410هـ-1990م، ص2.

[26] الحبيب، طارق علي. **"الحرية حاجة نفسية"**. www.al-sharq.com، استرجع بتاريخ 2-9-2020م.

[27] الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر(ت606هـ- 1210م). **مفاتيح الغيب**. ط.1، بيروت-دمشق: دار الفكر، 1981م-1401هـ، ص85.

[28])ينظر ابن عاشور، محمد الطاهر(ت1404هـ- 1984م). **تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد " التحرير والتنوير** ". ط.2، تونس: الدار التونسية للنشر، 1404هـ- 1984م، 14/ 216.

[29] النابلسي، محمد راتب. " **سورة ابراهيم**"، www.nabulsi.com،استرجع بتاريخ2-9-2020م.

[30] ينظرقطب، سيد قطب الشاذلي(ت1386هـ- 1966م). **في ظلال القرآن**. ط.32، القاهرة: دار الشروق، 1423هـ-2002م، 2095/4

[31] ينظر الرازي، **مفاتيح الغيب**، ص85.

المنارة للاستشارات

[32] ينظر: الخالدي، صلاح عبد الفتاح الخالدي. **الأتباع والمتبوعون في القرآن**. ط.1، عمان: دار المنار للنشر، 1996م-1417هـ، ص83.

[33] ينظر: موسى، محمد موسى، مقال بعنوان: " **الإعجاز البلاغي في التقديم والتأخير**"، www. quran-m.com استرجع بتاريخ 5-9-2020م.

[34] ينظر الجيوسي، عبد الله محمد الجيوسي (ت 1432هـ - 2011م). **أسلوب الحوار في القرآن: خصائصه الإعجازية وأسراره النفسية**. المجلة الأردنية للدراسات الإسلامية، جامعة آل البيت، مج1، ع2، 1426هـ- 2006م ، ص117.

[35] ينظر ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، 216/14.

[36] **المرجع السابق**،216/14.

[37] سيد قطب، **في ظلال القرآن**،/ 3084/5.

[38] ينظرقطب، سيد قطب(ت1386هـ- م1966). **العدالة الإجتماعية في الإسلام**. ط.13، القاهرة، دار الشروق، 1413هـ-1993م، ص36.

[39] الكواكبي، عبد الرحمن بن أحمد(ت1320هـ- 1903م). **طبائع االاستبداد ومصارع الاستعباد**. حلب، المطبعة العصرية، 1432هـ-2011م، ص18.

[40] ينظر: فضل الله، محمد حسين(ت1432هـ- 2011م). **الندوة**. ط.3، بيروت: دار الملاك، 1417هـ-1997م، 24/1.

[41] ينظر: دراز، محمد عبد الله دراز(ت1377هـ-1958م). **دستور الأخلاق في القرآن** ط.7، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1407هـ-1987م، ص 137.

[42] ينظر الألوسي، محمود شهاب الدين(ت1270هـ-1854م). **روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني**. المحقق علي عبد الباري، ط.1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ -1994م، 79/12.

[43] القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد(ت 1332هـ- 1914م). **محاسن التأويل**. تحقيق : محمد باسل عيون السود، ط.1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1418هـ- 1997م،207/8 بتصرف.

[44] بكار، عبد الكريم محمد الحسن. **نحو فهم أعمق للواقع** الإسلامي. ط3، دمشق: دار القلم، 1432هـ -2011م، ص66.

[45] ينظر فضل الله . **الحوار في القرآن**. ط.5، بيروت: دار الملاك، 1416هـ- 1996م، ص395.

[46] ينظر سيد قطب، **في ظلال القرآن**، 2907/5.

[47] ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، 207/23.

[48] ينظر **المرجع السابق**، 208/23.

[49] ينظر سعيد، جودت سعيد محمد. **حتى يغيروا ما بأنفسهم**. ط.8، القاهرة: مؤسسة الإسراء للنشر، 1418هـ- 1998م، ص171.

[50] ينظر: الألوسي. **روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني**. تفسير آية 54 من سورة يونس، 137/11.

[49] ينظر: السباعي، مصطفى حسني(ت1383هـ- 1964م). **أخلاقنا الإجتماعية**. مكتبة الشباب، دمشق، د. ت، ص33.

[50] ينظر النغيمشي، نبيلة النغيمشي. **دعهم يتذمرون**. ط.2، الكويت: مكتبة آفاق، 1435هـ- 2014م، ص54.

[53] ينظر فضل الله، **الحوار في القرآن**، ص352.

المنارة للاستشارات

[54] ينظر: الجراري، عباس الجراري. **الإنسان في الإسلام "ماهيته وحقيقة ووجوده"**. الرباط: مط. الأمنية، 1417-1997م، ص37.

[55] ينظر: خليل، عماد الدين خليل. **مقال في العدل الإجتماعي**. بيروت: دار ابن كثير، 1427هـ-2006م، ص97.

[56] ينظر الغزالي، **إحياء علوم الدين**، 439/4.

[57] ينظر ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، 222/9.

[58] ينظر**المرجع السابق** ، 222/9 بتصرف.

[59] ينظر سيد قطب، **في ظلال القرآن** ، 1313/3.

[60] ينظر أيوب، سعيد أيوب. **الإنحرافات الكبرى**. ط.1، بيروت: دار الهادي، 1412هـ ،1992م، ص107.

[61] ينظر أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان (ت 745هـ- 1344م). **البحر المحيط**. تحقيق: صدقي محمد، بيروت: دار الفكر، 1420هـ، 94/5.

[62] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، 205/23.

[63] ينظر سيد قطب، **في ظلال القرآن**،1313/3

[64] ينظرالنصيرات، جهاد محمد فيصل، رسالة ماجستير، **الظلم في القرآن "دراسة موضوعية"**، إشراف فضل حسن عباس، الجامعة الأردنية، الأردن،1420هـ- 2000م، ص78.

[65] ينظر المجالي، محمد خازر صالح، **أهمية الثقة في تطلعات الشباب**، بحوث المؤتمر العالمي الثاني عشر للندوة العالمية للشباب، 1436هـ - 2015م، ص1862.

[66] ينظر سعيد، سعاد سعيد،**علم النفس المقارن**، عالم الكتب، ط.1، الأردن، 1425هـ- 2005م، ص22.

[67] ينظر نوفل، أحمد إسماعيل نوفل. **تفسير سورة الحجر**. ط.1، الأردن: جمعية المحافظة على القرآن، 1440هـ - 2019م، ص442.

[68] ينظر ابن منظور. **لسان العرب**، 222/8.

[69] ينظر قطب، سيد قطب(ت1386هـ- 1966م). **التصوير الفني في القرآن**. ط.12، القاهرة: دار الشروق، 1412هـ-1992م، ص92.

[70] ينظر ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، 218/14.

[71] ينظر سيد قطب، **في ظلال القرآن**، 2095/4.

[72] ينظر سيد قطب، **التصوير الفني في القرآن**، ص246.

[73] ينظرالزمخشري. أبو القاسم محمود بن عمرو(ت538هـ-1143م). **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**. ط.3، بيروت: دار الكتاب، 1407-1987م، 550/2.

[74] القاسمي، **محاسن التأويل** ، 3725/10.

[75] ينظر الشلول، زكريا ابراهيم، **أثر العقيدة الإسلامية في السلوك الإنساني**، الأردن: دار الكتاب الثقافي، 1425هـ- 2005م، ص235.

المنارة للاستشارات

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

01.إبراهيم أنيس وآخرون (ت.1397هـ).المعجم الوسيط. ط.4، القاهرة-مصر: مجمع اللغة العربية، 1425هـ-2004م.

02.أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي(ت.1094هـ). الكليات. تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، ط.2، بيروت-لبنان: مؤسسة الرسالة، 1419هـ - 1998م.

03.أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري (ت.538هـ). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. ط.3، بيروت-لبنان: بيروت-لبنان: دار الكتاب، 1407-1987م.

04.أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (ت.505هـ). إحياء علوم الدين.ط1، بيروت: دار ابن حزم، 1425هـ- 2005م

05.أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (ت.505هـ)، معارج القدس في مدارج معرفة النفس، ط.2، بيروت-لبنان: دار الآفاق، 1394هـ - 1975م

06.أبو حيان الأندلسي. محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان (ت 745هـ).البحر المحيط. تحقيق: صدقي محمد، د.ط، بيروت-لبنان: دار الفكر، 1420هـ- 1999.

07.أبو طاهر مجد الدين محمدبن يعقوب بن محمد الفيروز آبادي (ت.817هـ)، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، ط.8، بيروت-لبنان: مؤسسة الرسالة، 1426هـ- 2005م.

08.أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين الرازي (ت.606هـ). مفاتيح الغيب. ط.1، بيروت-لبنان: دار الفكر،1401هـ- 1981م.

09.أحمد إسماعيل نوفل. تفسير سورة الحجر. ط1، الأردن: جمعية المحافظة على القرآن، 1440هـ - 2019م .

10.أحمد شفيق بهجت (1433هـ).الله والحرية.مصر: جريدة الأهرام،1410هـ- 1990م.

11.اسماعيل بن حماد الجوهري (ت393هـ). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. تحقيق: أحمد عطار، ط.4، بيروت-لبنان: دار العلم للملايين، 1407هـ- 1987م.

12.الانحرافات الكبرى. سعيد أيوب. د. ط، بيروت-لبنان: دار الهادي، 1412هـ، 1992م.

13.الإنسان في الإسلام "ماهيته وحقيقة ووجود. مطبعة الأمنية". عباس الجراري، د. ط، الرباط-المغرب، 1417-1997م.

14.جودت سعيد محمد. حتى يغيروا ما بأنفسهم. ط.8، القاهرة -مصر: مؤسسة الإسراء للنشر، 1418 هـ-1998م.

15.حسان العمد قمحية، سمير عمار، معتز قعصراني. الطب النفسي.ط.1، دمشق-سوريا: دار الألباب، 1413هـ-1993م.

16.كريا ابراهيم الشلول. أثر العقيدة الإسلامية في السلوك الإنساني. الأردن: دار الكتاب الثقافي، 1425هـ- 2005م.

17.السباعي. مصطفى حسني السباعي. أخلاقنا الإجتماعية.د. ط، دمشق-بيروت: مكتبة الشباب، د. ت.

المنارة للاستشارات

18.سعاد سعيد. علم النفس المقارن. ط.1، الأردن: عالم الكتب، 1425هـ- 2005م.
19.سيد قطب الشاذلي(ت1386هـ). العدالة الاجتماعية في الإسلام. ط.13، القاهرة-مصر: دار الشروق، 1413هـ-1993م.
20.سيد قطب الشاذلي (ت.1386هـ). في ظلال القرآن. ط.32، القاهرة-مصر: دار الشروق، 1423هـ-2002م.
21.سيد قطب(ت1386هـ). التصوير الفني في القرآن. ط.12، القاهرة-مصر: دار الشروق، 1412هـ-1992م.
22.شهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي(ت.1270هـ). روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني. تحقيق: علي عبد الباري، ط.1، بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية، 1415هـ -1994م.
23.صلاح عبد الفتاح الخالدي. الأتباع والمتبوعون في القرآن. ط.1، عمّان-الأردن: دار المنار للنشر، 1996م-1417هـ .
24.عبد الرحمن بن أحمد الكواكبي (ت.1320هـ). طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد. د. ط، حلب-سوريا: المطبعة العصرية، 1432هـ-2011م.
25.عبد السلام بن محمد بن سلام ياسين (1434هـ). الإسلام وتحدي الماركسية اللينينية. د. ط، 1407هـ/1987.
26.عبد الكريم محمد الحسن بكار. نحو فهم أعمق للواقع الإسلامي. ط3، دمشق-سوريا: دار القلم، 1432هـ - 2011م.
27. عبد اللطيف محمد خليفة. ارتقاء القيم "دراسة نفسية ". ط1، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون، 1410هـ-1990م.
28.علي بن محمد بن علي الزين الشريف(ت.816هـ). التعريفات. ط.1، بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية، 1403هـ- 1983م.
29.عماد الدين خليل. مقال في العدل الإجتماعي. د.ط، بيروت-لبنان: دار ابن كثير،1427هـ-2006م.
30.فرج عبد القادر طه. أصول علم النفس الحديث. د.ط، القاهرة-مصر: دار قباء، 2000م.
31.ماجد زكي الجلاد. تعلم القيم وتعليمها. ط.2، عمّان-الأردن: دار المسيرة، 1428هـ- 2007م.
32.مجدي عزيز ابراهيم، موسوعة المعارف التربوية، ط.1، الرياض-المملكة العربية السعودية: عالم الكتب، 1428هـ-2007م.
33.محمد الطاهر ابن عاشور(ت1404هـ). تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد "التحرير والتنوير. ط2، تونس: الدار التونسية للنشر، 1404هـ- 1984م.
34.محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، الملقب بمرتضى الزبيدي(ت1205هـ). تاج العروس من جواهر القاموس. تحقيق: مجموعة محققين، ط.1، بيروت-لبنان: دار الفكر،1414هـ- 1994م.
35.محمد بن مكرم بن علي جمال الدين ابن منظور (ت.711هـ). لسان العرب. ط.3، بيروت-لبنان: دار صادر، 1414هـ-1993م.

المنارة للاستشارات

36.محمد جمال الدين بن محمد القاسمي(ت.1332هـ). محاسن التأويل. تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط.1، بيروت–لبنان: دار الكتب العلمية، 1418هـ– 1997م.

37.محمد حسين فضل الله(ت1432هـ).الندوة. ط.3، بيروت–لبنان: دار الملاك،1417هـ–1997م .

38.محمد عبد الله دراز(ت.1377هـ). دستور الأخلاق في القرآن. ط.7، بيروت–لبنان: مؤسسة الرسالة،1407هـ–1987م.

39.محمد فؤاد بن عبد الباقي بن صالح (ت.1388هـ). المعجم المفهرس لألفاظ القرآن. د.ط، القاهرة–مصر: دار الحديث، 1944م– 1364هـ.

40.مصطفى أوعيشة. مفهوم الاستكبار والاستضعاف في القرآن. ط.1، القاهرة–مصر: دار السلام للطباعة والنشر، 1436هـ–2014م.

41.المفردات. الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (ت.502هـ).تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط.1، بيروت–لبنان: دار الأرقم، 1412هـ–1992م.

42.نبيلة سليمان النغيمشي، دعهم يتذمرون، ط.2، الكويت، 1435هـ– 2014م.

43.أهمية الثقة في تطلعات الشباب. محمد خازر صالح المجالي. بحوث المؤتمر العالمي الثاني عشر للندوة العالمية للشباب، 1436هـ–2015م.

44.أسلوب الحوار في القرآن: خصائصه الإعجازية وأسراره النفسية، عبد الله محمد الجيوسي (ت. 1432هـ). المجلة الأردنية للدراسات الإسلامية، الأردن: جامعة آل البيت، مج1، ع2، 1426هـ– 2006م .

45.جهاد محمد فيصل النصيرات، الظلم في القرآن "دراسة موضوعية "، رسالة ماجستير، إشراف فضل حسن عباس، الأردن: الجامعة الأردنية،1420هـ– 2000م

46.غسان عاطف بدران، المستكبرون والمستضعفون دراسة قرآنية"، رسالة ماجستير، إشراف: أحمد نوفل، الأردن: الجامعة الأردنية، 1408هـ– 1988م.

مواقع الكترونية:

46. www.nabulsi.com /بتاريخ2-2-2021م.

47www.al-sharq.com. /بتاريخ 2-2-2021م.

48www. quran-m.com. / بتاريخ 10-3-2021م.

المنارة للاستشارات